

مجنون الورد

محمد شكري

الاطفال يصخبون في الحى .

اسيتقتلت وجلست . تطلت ساقاها على حافة مضجعا . حنت رأسها
امام . ياكلان خبزا مفموسا في الزيت . يشريان شايا أخضر باردا تركته
امهما في الابريق . ينظران اليها ماضفين . شاردة ودائخة . تمسك رأسها
بيديها وتضغط . تنهض مترنحة واضمة يدها على فمها . تدخل المرحاض ،
رائحته الكريهة تسعفها على القمى القوي . هلام اصفر . صوت قينها مخنوق
مثل حيوان يذبح . يمد لها اخوها الاكبر سطلا من البلاستيك فيه ماء . تتهاكك
على المضجع . تشوق . الاخ الاصفر يخرج الى الحى . الآخر جالس صامتا
امامها . تجلس . يتناظران بحزن . عيناها دامعتان ، ذابلتان . تبسم ،
يبسمان . استجامته بحركة من رأسها ويديها . تجلسه جنبها . تضمه الى
صدرها باسمة . تمسك وجهه الصغير بين يديها باسمة . تمسح بيديها رشح
دموعه باسمة .

الاطفال في الحى يلعبون الكرة صاخبين . تعطيه قطعة نقدية . يبسم .

يبوس خدما ويخرج .

في الحى هيار البؤس اكثر صداقة للصفار والكبار . الجمال فيه يطل
في فضول من الابواب الصغيرة الكالحة . هو الجمال نفسه الذى يباع في
شوارع المدينة الجديدة .

شاعر الحى الكسيح شامد على ما يحدث منذ ان كان اهل هذا الحى
كلهم يسكنون الاكواخ .

يعلم الصفار والكبار ،

بالاجر والشكران ،

يقرا ويكتب رسائل الاحباب ،

يؤازر المصاب بالقرآن .

والعشيق والمعشوق بالاشعار ،

يلعب الاطفال ،

يخرف مع الشيوخ في الصساء .

طفلة تاكل رغيفا وشوكولاته . جالسة على عتبة منزلها تنظر الى اشياء
الحي . تستذوق ما تاكله . طفل امامها في يده وردة حمراء .. يرقص ساقها
بين اصابعه الذخيلة الرسخة . جوعه في عينيه يغازل رغيفها . تكف عن
الاكل والكسرة قريبة من فمها . ناظرا اليها يشمها واليها يباسمها يغريها .
رقصة الجوع في عينيه ، رجليه ، يديه ، في كل جسمه . عينها الحالمتان
تطلبان وردته الراقصة . امتدت يده الى الفم ويدها الى الانف .
تنهض . تستقطر الابريق في أحد الكاسين اللزجين بالزيت . ترشف
من الثمالة العكرة . تفرك عينيهما . تخرج من حقيبتها علبة سجائر سفراء .
تجلس على مضجعها . تشعل واحدة . تنظر الى صورة ابيها في اطار صغير
بال على الجدار الراشح . تدخن ناظرة الى صورة ابيها . تسعل بقوة . تتذكر
سمال ابيها وخيوط الدم يبصقها . تدوخ من جديد . تقوم الى المرحاض
ساعة وترمي نصف السيجارة . تقيء بجهد خيطا رفيعا من اللعاب . تتذكر
لعاب السكارى لغوهم وعنفهم وسط صخب الغناء وضباب الدخان . تذهب
امام مرآة صغيرة عالقة قرب مضجعها . وجهها الليلي في لون الزيت . محتقن
وعيناها راشحتان . تشبك يديها امامها . تضغط على عضلات كتفها بحركة
متواترة وصدرها يخفق مندفعا الى الامام . جست نهديها . وجدتها صليبين .
جلست على مضجعها زافرة . كشفت عن ساقها ثم حككت شعرها الكث الذي
لم تحلقه منذ مدة طويلة . تحب كثيرا عريها في عينيهما أكثر مما تحبه في عيون
الرجال . قيل في اسفل جسدها من الغزل أكثر مما قيل في اعلاه .

مجنون الورد . هكذا سماه اهل الحي . الشاعر الكسبح شاهد . مجنون
الورد يعيش مع أمه في كوخ . يذهبان معا كل صباح الى المدينة ولا يعودان
الا مساء . هي تتسول وهو يوزع وروده على النساء والفتيات الجميلات .
لا شيء يطلب منه . وروده يشتريها من مال أمه او يسرقها . قبض عليه
وحوكم مرات ، لكن رافة مجنون الورد يسامح . وردته الاخيرة يرميها دائما
للساكنة في الطابق الارضي . رحمة مجنون الورد رمت له يوما منديلا . حلم
في تلك الليلة برياض الورد يظننها مجنون الفرحة والمناديل تتساقط عليه من نافذة
امرأة المنديل . يوم المنديل خير من الف يوم . سلام هي المرأة بعد يوم
المنديل هكذا صار يقول لكل من يعرفه . أخذ يؤرخ لحياته بيوم المنديل

هذا حدث قبل يوم المنديل . هذا حدث بعد يوم المنديل . حتى المرأة قبل المنديل ليست هي المرأة بعد المنديل . لم يعد يعطي وروده لكل النساء . الباقية المشتراة أو المسروقة هي لامرأة المنديل . مجيئة بالورد ووجودها على النافذة وعد وميعاد بينهما .

حين شفي الزوج من زكامه شم رائحة مجنون الورد في جسد امراته . حين شفي من مرض عينيه رأى المجنون يقفز من النافذة وراي امراته تخرج بخفة من الباب راكضة خلف مجنون الورد . كان أسمن من أن يركض وراءها .

جملت وجهها الليلي بالمساحيق وقطرت قطرات زرقاء في عينيها وفاح منها عطر غال . أخرجت من خزانة ملابسها الصغيرة ثوبا ثميناً أكثر شفافية وملوسة والتصاقاً بجسمها من كل أثوابها الأخرى وحذاء جميلاً فضي اللون كعباء عاليان . لفته في ورقة مجلة أجنبية تشتريها من أجل حذائها الجديد والبالى . احتدت البالى وتأبطت الجديد . قبل أن تخرج القبت نظرة على دميتها الكبيرة في لباسها الجميل التي اشتريتها بمالها عندما كبرت وصارت تكسب . أخوها الأصغر جالس قدام عتبة الباب يلعب بقطة صغيرة بكرة ورقية مربوطة بخيط وكلب أمامه سقيم يستلقي في الظل يغالبه النعاس والتعب . ترك القطة وأقبل يودعها . أعطته قطعة نقدية صغيرة وقبلته . رجاها إن تعود في المساء باكراً قبل أن ينام ، أخوها الآخر بعيداً يلعب الكرة مع فرقة صغار الحي . نساء ، وأطفال يستسقون من حنفية الحي في ضجيج وسباب . طفلة تتبرز قرب السياج . تنكث برازها بعود صغير وتشمه . كلب هزيل يحوم حولها . عيناه تكبران وذيله يبصبص . فتاتان تتشامتان حول صف سطليهما . احدهما رفعت ثوبها كاشفة عن أسفلها العاري وقالت لغريمتها في الصف حول الحنفية :

— هذا ما تساويينه أنت عندي .

أبرزت لها الأخرى وسطاها في وجهها ثم تشابكتا لكما وشدا وشتما . شبان جالسون على الأرض الى الحائط مستندين يدخنون بسام يتأملون ما يحدث بسخرية . صفر لها واحد من هؤلاء الشبان يفرز ضاحك وطفلان يستجديانها . أعطتهما قطعتين نقديتين ومضت في الوحل بمسكنة وخرج . بعضهن ينظرن إليها باعجاب وبعضهن بحقد وحسد .

قرب مدخل الحي الموحد خبات البالى وأخذت الجديد ثم مشت في الطريق المزفت الى المدينة الجديدة .

شاعر الحي الكسبيح يكتب عن هذه الاشياء في حيه وايضا عن اشياء في
المدينة ما عاشها وما رآها لكنه سميع ممن رآها أو رواها . هذه بعض من
مذكراته :

أمس فكرت من جديد في حياتي من خلال الاصفار . من اليمين الى اليسار
فكرت في قيمة الاصفار . فكرت في كل شيء من خلال لا شيء . « لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون » . ما أصابك من اليمين فمن الله وما أصابك من
اليسار فمن نفسك . الله يقسم وأنتم تجمعون . لكنكم لا تعدلون في شيء
والله خير من يعدل في الحساب .

أن تحطوا كل الاصنام . هذا ما تعرفون . لكن الله لا يمكر بكم ان
كنتم تعدمون ما تبخون لأنفسكم .

جنس ! جنس ! جنس ! ما هو ذا شقاؤكم فاطلبوا سعادة الوعد ان
كنتم صابرين ومؤمنين . انني غاضب على هذا الجوع البشري الذي لا يكف
حتى الموت . لم أعد أذكر كبريائي الذي كان يمني من ان احب . البعد
الحلو كان كل عزائي . دائما تغلبني الفجور الاقوى من العفاف في نفسي . أبدا
ما جاتني هي التي في أوانها أستهيها . تلك التي تتحسرون عن فراقها وتملون
من بقائها . الجمال ! أه ! من الجمال الذي يفترسني مالكا اياه سواي ساخرا
مني . لم أنهم امرأة واحدة الا في نزوات الخيال : في الرشقات لا في رشفة .
ربما فكرت في أكلهن . كانت رغباني موزعة فيهن . الحياة التي فكرت فيها لم
أعيشها . سلوا ذلك الذي عاشها ولم يفكر فيها !

انه اعتراف آخر كأس وآخر صديق يغازني . سلوا ذلك الذي هو في
غربته !

لي صديق يقهره الجمال مثلي يكرهني في عيني زوجته ويحبني في أعين
العابرات في حياتي . سلوا ذلك الذي مل من الوجه الاليف ! طقت في البيت
الحرام حول امرأة ثلاثة أيام قهرا وبعدها ما عدت اطوف اكثر من يوم في
شمسه او في قمره . ان عقد الاستهلاك هو كل كرامة ذلك الصديق وصار عندي
كلاما في آخر الليل وآخر كأس وآخر افلاس . اذ كنت دوما كارها للفرض فمن
يكون لانمي وحاكي في السنة ؟ نحن اخوة في الخيار وأعداء في الجبر .

ان عزاب هذه المحينة أدمنوا على الليل والكأس مثلي أو على الثواب
والهجرة قبل الثلاثين فرارا من الجنون أو الجهل والموت . أنا اليوم وحيد مع
كاسي . مثل الذين يهربون الى المشارب والمواخير لعلمهم يستعيدون شيئا من
عزوبتهم . انهم يمجحون الخمر في المساء ويلعنونه في الصباح . كل نفس
ذائقة عزوبتها ومجدها ولعننتها . لكنني وجدت في كل المواخير أخواني وأخوات

أصدقائي . رأيت هذيان الليل يذيب مساحيقهن ويمزق أفنعتهن واسنانهن
ينخرها السوس في عز شبابهن . سمعتهن يستعدن عفاف طفولتهن في الإناسيد
المدرسية المبتورة في ذكرتهن والروايات الحزينة وأفلام الغرام والذكريات
القديمة والحديثة .

انه اعتراف آخر كاس وآخر فلس وآخر صديق يسافر الى عالم فاتني
ان أزوره في زمن بلا جواز سفر ولا نقود .

في الشارع الرئيسي دخلت البنك . أخرجت شيكا من حقيبتها الجلدية
الجميلة ، الثمينة ووقعت اسمها بصعوبة ويدها راعشة . نظر الصراف بفضول الى
الشيك واليها . سحبت مائتي درهم وخرجت مضطربة . اشتريت من دكان
مجلة نسوية مصورة وعلبة سجائر مذهبية .

في قاعة شاي مدام بورط جاءت الخادمة الجميلة ووقفت بلطافة . انها
تعرف سخاءها معها . قالت بصوت تشوبه بحة تعب الليل :

— أعطيني عصير برتقال ، حلييا باردا وخبزنا مشويا بالزبدة والمربي .
في السوق الكبير صاحتا أمها وعيناها على حارس الأمن يطارد بعيدا
عنها البائعات المتجولات مثلها .

— ها البصل ! ها الفجل ! ها الليمون !

في الحي صرخ أخوها اللاعب :

— جـوول . . . !

وأخوها الاصغر يلعب القطة الصغيرة قرب شاعر الحي الكسيح والكلب
السقيم ينعش امامهما ، وطفل في يده طائر دوري يموت يبول عمدا على حذائها
في السنياح